الاتحـــاد المغـــربي للشغـــل بين التـ

ميلاد الحركة النقابية المغربية

ان التدخل الاستعماري في بلادنا ، وما نتـج عنه من تغييرات في الهياكل الاقتصاديـــة الاجتماعية ، كان له دور اساسي في توفير الشروط الموضوعية لميلاد الطبقة العاملة المغربية • ذلك ان الهياكل الرأسمالية التي ادخلها المســتعمر في مجتمعنا من اجل توفير شروط نهب خيراتنـــا واستغلال شعبنا ، كانت هي العامل الاساسي في بروز ظاهرة الهجرة من البوادي الى المدن وبداية تكوين الطبقة العاملة المغربية ، وذلك في ظروف جد قاسية ومزرية تعرف من خلالها العمال علـى الطبيعة البشعة للاستغلال الرأسمالي ، خاصة في ظروف الازمة الاقتصادية العالمية ، حيث ازدادت نسبة العاطلين في المغرب بـ 60 بالمائة ، بينما انخفضت الاجور بنسبة 50 بالمائة •

ولقد شكلت مجموع هذه الظروف حافزا لاذكاء وعي العمال المغاربة بضرورة الدفاع عن حقوقهم والنضال ضد الرأسمال الاستعماري • وهكـذا خاضوا نضالات هامة كانت نتيجتها تحقيـق الانتصارات المطلبية الاولى ـ الحد الادنى للاجور تحديد وقت العمل في 8 ساعات يومية •• ـ وفي نفس الوقت دعم الحركة الوطنية ضد الوجـود الاستعماري •

ولقد عرفت هذه النضالات تقدما ملموسا نحـو النضال الجماهيري المنظم ، خاصة بعد اعـادة تنظيم فرع « س• ج• ت• » وتحويله سنة 1946 الى « الاتحاد العام لكنفدرالية النقابات المغربية » الذي جند العمال المغاربـة الى جنب العمـال الفرنسيين والاسبان في نضالات نقابية توجت بانتصارات كبيرة ، وشكلت بالنسبة للطبقـة العاملة مدرسة اساسية لبلورة وعيهـا وتثبيت صمودها وقدرتها الكفاحية •

وارتبط هذا النضال ارتباطا وثيقا بنضـال الحركة الوطنية ضد المستعمر خاصة بعد ان اصبح الاتحاد العام منظمة نقابية مغربية مسـتقلة ـ وذلك بموافقة س• ج• ت ـ هذه المنظمة التي قررت بمناسبة مؤتمر نوفمبر 1950 تسجيـل نضالها في اطار **رفض الحماية والمطالبـة بالاستقلال** •

وهكذا ادت الطبقة العاملة ، ومنظمتها النقابية ، مسؤوليتها التاريخية في النضـال الوطني ، ودورها الكفاحي الطليعي داخل الحركة الوطنية •

الاتحـاد المغـربي للشـغل مكسب للنضال الجماهيري ضد الاستعمار

لقد حاول الرأسمال الاستعماري مواجهـة النضالات العمالية الجماهيرية بالقمع المنهجي الذي تجلى في الاعتقالات والمنع والمحاكمات الصورية . لكن صمود الطبقة العاملة وتوسيع نطاق نضالها الجماهيري ، وارتباطه بالكفاح الوطني الوحدوي على صعيد المغرب العربي ـ حملات التضامن مع الثورة الجزائرية ، المظاهرات ضد اغتيال فرحات حشاد •• ـ كل ذلك ارغم الاستعمار على تقديم التنازلات تلو الاخرى ، وساهم مساهمة فعالة في دعم الحركة الوطنية ، خاصة بعد ان فـرضت المقاومة المسلحة نفسها ، والتحمت كل الروافـد النضالية في مجرى واحد : المطالبة بالاستقـلال والسيادة الوطنية .

وهكذا استطاعت الحركة النقابية المغربيـة انتزاع حقها المشروع في التنظيم النقـابي الشامل ، حيث تأسس الاتحـاد المغربي للشغل سنة 1955 ، في ظروف شبه سرية بالرغم من مناورات الاستعمار الذي اضطر في النهايـة للخضوع امام الامر الواقع •

ان القدرة على التجنيد الجماهيري لاوسـع الفئات العمالية وتأطير نضالاتها المطلبية ، والدور الاساسي الذي لعبه الاتحاد المغربي للشغل من اجل تحقيق مطلب الاستقلال ، قد جعل منه منظمة من **اهم المنظمات النقابية على الصعيد الافـريقي ، وذات السمعة الدولية** •

ان مجموع هذه الانتصارات التي حققتها روافد الحركة الوطنية على مستوى كل من النضـال النقابي والسياسي والكفاح المسلح ضد الوجود الاستعماري ، قد شكلت الدافع الاساسي عنـد الاستعمار لابرام مساومته التاريخية مع الاقطاع والرجعية وحرمان البلاد من الاستقلال الحقيقـي والسيادة الوطنية عن طريق منح الاستقلال الشكلي الناقص •

الاتحاد المغربي للشغل غداة « الاستقلال »

لا شك ان الظروف التي عاشتها الجماهيـر الشعبية غداة الاستقلال ، والمتسمة بالتجنيـد والحماس اللذين رافقا الانتصارات الاولى ، قـد ساهمت في توسيع قاعدة المنظمة النقابية العمالية التي تمكنت من تنظيم وتوسيع فروعها فـي مجموع القطاعات ، وعبر جميع الاقاليم المغربية •

وامام هذا التجنيد الجماهيري الواسـع ، والاستعداد الذي برهنت عليه الطبقة العاملـة للدفاع عن حقوقها المشروعة في اطار منظمتهـا النقابية ، فضل الحكم تقديم بعض التنـازلات والتسهيلات ـ توفير المكاتب ، المساعدات المادية ـ مستهدفا من وراء ذلك تمييع واجهاض هذا المد الجماهيري العمالي ، في حين انه كان يستعـد لتنفيذ مخططه الرامي الى قمع وتجميد كل القوات الحية في البلاد والانفراد بالسلطة •

وهكذا ، فان اهم المكاسب النقابية والمطلبية غداة الاستقلال كانت في غالب الاحيان مكاسـب ممنوحـة ، خاصـة وان العناصـر

دليل المناضل :

ان بداية بروز الطبقة العاملة غداة الثـورة الصناعية ، قد اقترن بالظروف المعيشـية القاسية للعمال واستغلالهم البشع من طـرف الرأسماليين : انعدام اي ضمان اجتمـاعي ، اجور ضئيلة ، عمل مرهق يدوم احيانا اكثر من 14 ساعة يومية ، انتشار الحوادث القاتلة اثناء العمل •• الخ

ان هذه الظروف قد نمت الشعور التضامني عند العمال ، مما جعلهم ينظمون « صنـاديق الاسعاف » لمساعدة العمال المرضى او المطرودين من الشغل • وان تجمع العمال حول هذه الاعمال الاجتماعية ، قد جعلهم يزيدون وعيا بظروف استغلالهم ويطرحون ضرورة الدفاع عن حقوقهم بشكل جماعي ومنظم •

وهكذا تأسست النقابات المهنيـة الاولى للنضال ضد الاستغلال وتحقيق المطالب المادية•

اما من جهة اخرى فان بروز الاحـزاب الاشتراكية الأولى قد أثر بشكل أو بأخر على

النقابية واتجاهاتها الاساسية

النضال الاجتماعي للعمال ، ذلك ان النقابية ما هي الا شكل من اشكال النضال ضـد الاستغلال في حين ان العمل السياسي هـو شكل ثاني وارقى •

وان الارتباط والتفاعل ـ او انعدامهما ـ ما بين هذين الشكلين هو الذي سيرسم الاتجاهات الاساسية التي عرفتها النقابية والتي يمكـن تلخيصها كالتالي :

● **النقابية الاقتصادية الضيقة** : هي التي تريد الدفاع عن الحقوق الاقتصادية للعمال في اطار الهياكل الاستغلالية القائمة ، وترفض طرح مشكل تغيير هذه الهياكل •

وان البورجوازية تحاول باستمرار حصـر نضال الكادحين في اطار هذا التوجيه الضيق •

● **النقابية الفوضوية** : تحتقر النضـال السياسي وتعتبره غير مجدي ، وتريد تغيير المجتمع والقضاء على الرأسمالية بواسطـة التعطيل الكلي للانتاج (الاضراب العام) .

● **النقابية الجماهيرية الثورية** : هي التي يعتمدها الحزب الثوري في الميدان النقـابي ، وذلك بربط النضال المطلبي من اجل تحسـين اوضاع الكادحين ماديا ومعنويا ، بالنضـال لتحقيق الاهداف السياسية الاشتراكية •

ومن اجل هذا يعمل المناضلون الثوريون على تجنيد اوسع الجماهير داخل التنظيم النقابي، وذلك بغض النظر عن افكارها او انتمائهـا السياسي ، وباحترام كامل لمبدأ الديموقراطيـة الداخلية • كما يعملون ، بواسطة دورهـم النضالي وتضحياتهم ، على تأطير العمـل النقابي ، واقناع الجماهير ديموقراطيا بضرورة تسجيل النضال النقابي في اطار العمل علـى التغيير الكلي للهياكل الاستغلالية . وبهـذا يشكلون طليعة النضال ، ويجندون أوسـع الجماهير من اجل التغيير ، ثم في مرحلـة البناء الاشتراكي •

...ربة التاريخية والمسؤولية الراهنة

التقدمية كانت تلعب انذاك دورا اساسيا في الضغط من داخل اجهزة الدولة لتحقيق مطالب المنظمة النقابية ·

ان مجمل هذه التسهيلات قد انعكست على هياكل الاتحاد المغربي للشغل بظاهرتين اساسيتين :

– توسيع سريع في الهياكل بدون تأطير كاف واحيانا بشكل غير منظم ·

– تسرب العناصر الانتهازية الى الاجهزة القيادية ، باعتبار ان العمل النقابي لا يكلف جهدا ، وان الوصول الى مراكز المسؤولية تعني في الحقيقة الوصول الى مراكز الامتيازات والمصالح ·

ان مجموع هذه الظروف التي عاشها الاتحاد المغربي للشغل غداة « الاستقلال » قد انعكست بشكل مباشر على مستوى التوجيه القيادي للمنظمة ، وعلى مستوى هياكلها التنظيمية وسيرها الداخلي ·

« سياسة الخبز » .. سياسة في حد ذاتها

ان كل هذه الظروف « السهلة » قد انقلبت رأسا على عقب حينما قرر النظام الظهور بطبيعته الحقيقية ، وتثبيت اسس الحكم المطلق ، وذلك بعد ان نفذ مؤامرته ضد المقاومة وجيش التحرير، وأقال الحكومة الوطنية ، ثم توجه بالقمع المنهجي ضد كل تحرك شعبي ·

أمام هذه الوضعية الجديدة ، وبينما كان المناضلون النقابيون يعانون من شتى انواع القمع والتنكيل ، فضلت القيادة النقابية التخلي عن الخط النضالي الذي تميز به تاريخيا الاتحاد المغربي للشغل منذ نشأته ، وتجميد النضالات الاجتماعية للبحث عن هدنة مع النظام من شأنها الحفاظ على الجهاز وتوفير الامتيازات ··

ومن اجل هذا عملت القيادة النقابية بشتى الوسائل على عزل الطبقة العاملة عن النضالات الاجتماعية والسياسية ، بدعوى ان العمال في حاجة الى « الخبز » وليس الى السياسة ··

الا انها لم تسمح حتى بالنضال « من اجل الخبز » والمطالب الاقتصادية ، بل غالبا ما اجهضت وعرقلت هذا النضال بتواطؤ مكشوف مع ارباب العمل واجهزة الدولة ، وذلك على حساب مصالح العمال ·· هذا بالاضافة الى خرق ابسط المباديء الديموقراطية داخل المنظمة وتعيين العناصر المسؤولة من اسفل السلم التنظيمي الى اعلاه ، وذلك بتحد كامل لارادة القاعدة العمالية ·

وامام النضالات الجماهيرية المستمرة ، اضطرت القيادة النقابية الى تقوية ممارستها الفعلية باتخاذ بعض المواقف السياسية (!) « الجذرية » · وهكذا يلح الملتمس السياسي العام للمؤتمر الثالث على ان جهاز الدولة الذي يخدم مصالح المستغلين والرأسماليين لا يمكنه بطبيعته ان يجد حلولا للمشاكل الراهنة ، وان يحقق التطلعات الشعبية العميقة ·

واذا كان هذا الموقف قد تحكمت فيه ظروف سياسية معينة ، فان توجيه القيادة النقابية سينسجم مع نفسه من جديد بمناسبة مؤتمر 1972 حيث اقتصر البيان السياسي على العموميات ، وحصر المشكل السياسي في عجز « التقنيين » الذين يسيرون شؤون الدولة على ايجاد حلول ناجعة للازمة العامة التي تعاني منها البلاد ·

وبالاضافة الى توجيهها « الخاطيء » المليء بالتناقضات ، وممارستها المعرقلة للنضال النقابي الفعلي ، اعتمدت القيادة النقابية اسلوبا انتفاعيا في علاقاتها مع المنظمات السياسية والاتحاد المغربي للشغل على الخصوص · واذا كانت قد الحقت مجموع المنظمة النقابية بالحزب عند تأسيسه ، فلقد عملت باستمرار على الحفاظ عليه كملك خاص وكجهاز يحتفظ باستقلاله التنظيمي ، ويستعمل كورقة ضغط ·

وحسب مقتضيات الظروف والحسابات المصلحية حددت القيادة النقابية باسم المنظمة موقفها من الحزب · فتارة تقرر « سياسة الخبز » ، واخرى تؤكد عجز الاحزاب السياسية المعارضة (بيان بمناسبة انتفاضة مارس 1965) وتارة تقرر الوحدة مع القيادة الحزبية (1967) واخرى تجمد كل عمل سياسي تنظيمي ·· في انتظار تشكيل « تنظيم سياسي خاص بالعمال » (توجيهات المؤتمر الاخير) ·

والجدير بالذكر ان الاوضاع العامة التي عاشها الاتحاد الوطني للقوات الشعبية – والتي تطرقنا لها في العدد السابق – والتناقضات الداخلية التي عانى منها ، لم تسمح بالحسم في مشكل العلاقات مع المنظمة النقابية لتوفير العلاقات الطبيعية المفروضة بين حزب تقدمي ومنظمة نقابية جماهيرية ·

نضال المناضلين القاعديين من اجل الديموقراطية وتجاوز الجمود والانتظارية

ان التوجيه والممارسة التي فرضت على الاتحاد المغربي للشغل قياديا – والظروف التاريخية التي طبعت مسيرته غداة الاستقلال – قد شكلت عرقلة اساسية في توفير هياكل تنظيمية واضحة ، محددة وديموقراطية ·

فتردد القيادة النقابية بين الاقتصار على « سياسة الخبز » وطرح نفسها كبديل عن التنظيمات السياسية ، قد ولدت الخلط ما بين هياكل تنظيمية جماهيرية ، والهياكل التي من المفروض ان يتوفر عليها حزب سياسي · اما ممارستها فقد حالت دون احترام مبدأ الديموقراطية الداخلية كشرط اساسي لتطور المنظمة النقابية وتوسيع جماهيريتها واداء مهمتها النضالية ·

الا ان المناضلين القاعديين لم يقبلوا بهذا الواقع بل خاضوا نضالات متعددة الجوانب ، من اجل انتزاع الحقوق النقابية المشروعة ، ومن اجل فرض الديموقراطية داخل المنظمة النقابية ، ومواجهة المخطط الرامي الى تقسيم الطبقة العاملة او عزلها عن النضال ، وابطال دورها الطليعي ·

وغالبا ما التقت القيادة النقابية او العناصر الممثلة لها موضوعيا مع مصالح الرأسماليين المستغلين ومع اجهزة الحكم القائم ، مما كان يدفع بالمناضلين الى مواجهة العدو والخصم في آن واحد ·

اما من جهة اخرى فان تدهور الحالة المعيشية للجماهير العمالية ، وتصاعد الاساليب الاستغلالية والتعسفية ، قد جعلا الجماهير العمالية تأخذ مسؤوليتها في الدفاع عن حقوقها ، وتخوض نضالات مطلبية ونقابية ، في مجمل المرافق الاقتصادية والاجتماعية ، وذلك بتحد كامل للقيادة النقابية ، واحيانا بمعزل عن اطار الاتحاد المغربي للشغل · وهذه الظاهرة في حد ذاتها تعبر عن مدى تذمر الجماهير العمالية من جمود القيادة النقابية وتواطئها ·

من اجل منظمة نقابية جماهيرية وديموقراطية

ان قيام الاتحاد المغربي للشغل هو مكسب من اهم مكاسب النضال النقابي والوطني ضد الرأسمال الاستعماري ، وترجمة للدور الطليعي الذي لعبته الطبقة العاملة في اطار الكفاح التحرري والدفاع عن حقوق الجماهير الكادحة ، ابان الاستعمار وغداة الاستقلال الشكلي ·

الا ان ظروف نشأته ، والممارسة القيادية التي فرضت عليه ، قد حالت دون استمرار خطه الكفاحي النضالي كمنظمة نقابية تجند اوسع الفئات العمالية من اجل الدفاع عن حقوقها ، وانتزاع مطالبها وصيانة مكاسبها ·

ان تقلص جماهيرية المنظمة وتحكم الاعتبارات السياسية والذاتية في انخراط العمال داخل النقابة ، وحرمان العمال الواعين السيسين من اداء دورهم وسط التنظيم النقابي ·· كل ذلك ساهم بشكل فعال في الحد من التحام الاتحاد المغربي للشغل بالنضالات العمالية التي عرفت في السنين الاخيرة نموا ملحوظا في حين انها تعاني من سوء التوجيه والتأطير والتنسيق ·

كما ان غياب الديموقراطية في المنظمة ، واعتماد الاساليب الحلقية ، والتحدي والتصدي للمبادرات القاعدية التي يتخذها المناضلون العمال ديموقراطيا سواء في اطار نضالهم اليومي ، او في اطار بناء اجهزتهم النقابية القاعدية ·· ان هذه الاساليب قد شكلت طعنا صريحا لابسط مباديء الديموقراطية داخل المنظمة ·

ان توفير الجماهيرية – بالتحاق اوسع الجماهير العمالية بالمنظمة كيفما كان انتماؤهم السياسي او الايديولوجي – وتحقيق مبدأ الديموقراطية الداخلية ، شرطان اساسيان – مهمتان نضاليتان في نفس الوقت – للنهوض بالاتحاد المغربي للشغل وربط ماضيه النضالي بمستقبله ورفعه الى مستوى تأطير النضال النقابي ، والالتحام بالنضال الجماهيري للطبقة العاملة ، والمساهمة في تحقيق التطلعات العميقة للجماهير الشعبية المغربية ·

« الاختيار الثوري » ص ٥